صفحات من نشاط حكيموف الديبلوماسي(١)

أ. د. فاديم كوزمين(٢)

ترجمة: زهير التجاني

بطريقة تراجيدية انتهت حياة الديبلوماسي السوفييتي كريم عبدالرؤوف حكيموف، الذي كان أول سفير للاتحاد السوفييتي في المملكة العربية السعودية، حيث راح ضحية القمع الستاليني في الثلاثينيات من القرن الماضي. ورغم أن المحكمة العسكرية العليا أعادت الاعتبار الكامل لحكيموف عام ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ) إلاّ أن اسم "حكيموف" لم يظهر تقريبًا على صفحات الأدبيات العلمية، كما لم يرد ذكره في الطبعات الثلاث الأولى من "القاموس الديبلوماسي" الذي صدر في الخمسينيات والسبعينيات الميلادية. وفي البحث الضخم الذي أنجزه الباحث الروسي المعروف ألكسي فاسيلييف عن تاريخ العربية السعودية الصادر عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) لم تتم حتى الإشارة إلى حكيموف. أما السكندر أومنوف، الخبير في تاريخ العلاقات الدولية بالشرق الأوسط، فعدَّ في إحدى مقالاته عام ١٩٨٩م (١٤٠٩هـ) - التي أشار فيها إلى عمل حكيموف في المملكة العربية السعودية - أن هذا الأخير ينحدر من إحدى دول آسيا الوسطى، رغم أن حكيموف ابن فلاح فقير من بشكيريا. إن هذه

---

(١) نشر هذا البحث باللغة الروسية في مجلة جامعة أورال الحكومية، المجلد السابع، عام ١٩٩٧م، ص ٥٠-٥٧.

(٢) رئيس قسم الاستشراق بكلية العلاقات الدولية بجامعة أورال الحكومية في روسيا.

الوقائع وغيرها تشهد على أن سيرة حياة حكيموف وبعض تفاصيل عمله الديبلوماسي في بلدان الشرق خلال العشرينيات والثلاثينيات غير معروفة بشكل جيد حتى بين المستشرقين ومؤرخي العلاقات الدولية(٣).

ولد حكيموف بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٨٩٢م (١٣١٠/٥/٩هـ) في قرية دوسيانيفو على الحدود بين بشكيريا وإقليم أرينبورغ. وفي الثانية عشرة من عمره بدأ العمل أجيرًا زراعيًا في أراضي الباي المجاورة. ورغم الوضع المادي الصعب الذي كانت تعانيه أسرته، أظهر كريم ولعًا بالدراسة، فبعثه والده إلى كُتّاب القرية. حيث تعلّم الكتابة العربية، وقرأ القرآن وكثيرًا من الكتب الإسلامية، وفي شهر أغسطس ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ) غادر حكيموف مسقط رأسه بحثًا عن لقمة العيش.

---

(٣) إن هذا البحث نشر عام ١٩٩٧م (١٤١٨هـ)، ولهذا السبب من الطبيعي لم يتم ذكر البحوث والمقالات التي نشرت بعد هذا التاريخ في الموضوع نفسه سواء كانت باللغة العربية أو باللغة الروسية، حيث نشرت الأعمال الآتية:

- عبدالله حسين عبدالمحسن: العلاقات السعودية الروسية (١٩٢٦-١٩٧٨) وثائق سوفيتية، الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- د. فهد السماري: مهمة كريم حكيموف لمقابلة الملك عبدالعزيز، مجلة الدارة، ع ٣، س ٢٦، ١٤٢١هـ، ص ١٥٥-١٦٤.
- د. رضا الحكيم: جانب من العلاقات السعودية الروسية، مجلة الحرس الوطني.
- طائر منصوروف: القصة التاريخية للسفير نذير تيورياقولوف في الجزيرة العربية، موسكو، ٢٠٠٢م، (باللغة الروسية). ونشر باللغة العربية بعنوان: نظير توررياكولوف مبعوث الاتحاد السوفيتي في المملكة العربية السعودية ١٩٢٨-١٩٣٥م، ترجمة د. ماجد التركي، ٢٠٠٤م.
- د. علي محمد أحمد الشهري: العلاقات السعودية السوفيتية والسعودية الروسية (١٩٢٦-١٩٩٧م)، الرياض، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- د. ماجد بن عبدالعزيز التركي: العلاقات السعودية الروسية في ضوء المتغيرات الدولية (١٩٢٦-٢٠٠٤م)، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- كريم حكيموف: سنوات من حياته في أرينبورغ (الإنسان وعهده)، في كتاب صفحات مجهولة في الاستشراق الروسي، موسكو، ٢٠٠٤م. (باللغة الروسية).
- بشكير توستان، الموسوعة الموجزة، أوفا، ١٩٩٦م. (باللغة الروسية).

وبعد أن قطع ٢٠٠ فرسخ ماشيًا على قدميه وصل إلى أرينبورغ حيث عمل بوابًا، وقد ساعده بائع في أحد المتاجر على تعلم اللغة الروسية، فأجادها قراءة وكتابة. وفي صيف ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) غادر حكيموف أرينبورغ إلى محطة تشيلكار، وهي إحدى محطات خط سكة حديد طشقند، حيث عمل في البداية عند أحد التجار فرّاشًا ثم عاملاً بالسكة الحديد. وفي خريف العام نفسه حلّ بقرية كارغالي الكبيرة في ضواحي أرينبورغ، وبالقليل من المال الذي ادخره التحق بالمدرسة الدينية. وإلى جانب ذلك كان يعمل خادمًا عند زملائه التلاميذ ومرافقًا لأحد العميان. وغادر حكيموف مدرسة كارغالي الدينية، ليعود إلى أرينبورغ من أجل مواصلة الدراسة، إلاّ أنه لم يعثر هناك على عمل؛ فغادر المدينة في ربيع ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) نحو سهوب كازاخستان حيث عمل معلمًا للغة التركية لأبناء أحد الأغنياء القوزاق. ومن جديد عاد حكيموف إلى أرينبورغ خريف السنة نفسها حيث التحق بالمدرسة الدينية التترية. وبعد أن قضى فترة الشتاء في الدراسة عاد إلى القرية الكازاخية، ليعود بعدها مرة أخرى خلال الشتاء التالي للدراسة في المدرسة التترية بقرية نيكولسك في إقليم أرينبورغ.

في خريف ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) التحق كريم حكيموف بالمدرسة الدينية الشهيرة "غاليا" بمدينة "أوفا"، حيث كانوا يدرّسون مواد متنوعة عامة إلى جانب المواد الدينية، إضافة إلى اللغة الروسية، ومع ذلك فحتى هذه المدرسة لم ترض حكيموف. وفي ربيع ١٩١١م (١٣٢٩هـ) تركها ليسافر إلى آسيا الوسطى، حيث قضى جزءًا من سنوات حياته يجوب المدن بحثًا عن مصدر العيش، فاحترف مهنًا مختلفة من عامل يدوي إلى عامل بمناجم الفحم في وادي فرغانة وغيرها.

في تلك السنوات الصعبة لم يكن حكيموف ليتصور أن خبرته الحياتية واحتكاكه بتقاليد الشعوب المسلمة وعاداتها بروسيا القيصرية وتعليمه الديني الذي حصّله من المدارس الدينية ستساعده كثيرًا في إتقان العمل الديبلوماسي، ممثلاً لمصالح الدولة الجديدة التي ظهرت بدل الإمبراطورية الروسية بعد ثورتي فبراير وأكتوبر ١٩١٧م (١٣٣٥هـ) في مختلف بلدان الشرق.

شارك حكيموف في الحرب الأهلية كبلشفي قائدًا في الجيش الأحمر، واشتبك في الأورال مع القوزاق من الجيش الأبيض الذي يقوده القائد دوتوف، وشارك في تشكيل الفرقة المسلمة للجيش الأحمر، وكان عضوًا باللجنة الحزبية الثورية الإسلامية، عمل قوميسارًا (وزيرًا) إقليميًا للتعليم الشعبي، وسكرتيرًا للجنة المركزية للحزب الشيوعي في تركستان ثم عمل سكرتير للجنة المركزية للحزب الشيوعي في بخارى. وعن شجاعته وجرأته كانت تُروى الأساطير، وكان الناس يُقدّرون فيه طيبته ونزاهته، بالمعنى العميق لهذه الكلمة. وقد عمل وحارب في بعض المراحل تحت قيادة ف. كويبيشيف الذي قال عنه في تقرير أعده عن نشاطه بناء على طلب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لروسيا "عرفته سنوات ١٩١٩-١٩٢٠م (١٣٣٧ - ١٣٣٨هـ) في تركستان. وبين العاملين المسلمين كان منظمًا بطريقة شيوعية دون أي نزعة قومية، عمل بداية في القسم السياسي للجبهة، ثم سكرتيرًا عامًا للجنة المركزية بتركستان، ثم نائبًا لي في بخارى.. أعتقد أن الرفيق حكيموف عضو نزيه بالحزب. وهو ينحدر من أصل بروليتارية"(٤)، وكان كويبيشيف تحديدًا من رشح حكيموف للعمل في الحقل الدبلوماسي.

بدأ كريم حكيموف نشاطه الديبلوماسي عام١٩٢٠م (١٣٣٨هـ) عندما أصبح نائبًا للممثل المفوض لجمهورية روسيا السوفييتية

---

(٤) ل. عاديلوف - ف. غوميروف - الديبلوماسي الثوري - أوفا ١٩٧٧م، ص٨٣.

(ممثل الجمهورية كان كويبشيف) في جمهورية بخارى الشعبية السوفييتية. وفي أغسطس ١٩٢١م (ذي الحجة ١٣٣٩هـ) تم نقل حكيموف إلى موسكو للعمل بوزارة الخارجية السوفييتية، حيثُ كُلّف بمهمة جديدة في بلاد فارس (إيران) كقنصل عام في مدينة مشهد التي وصلها في بداية أكتوبر ١٩٢١م (صفر ١٣٤٠هـ) مكلفًا بمتابعة عمل السلطات المحلية بخصوص تنفيذ بنود الاتفاق السوفييتي - الإيراني الموقع في ٢٦ فبراير عام ١٩٢١م (١٨ جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ).

وخلال عمل حكيموف في مدينة مشهد برزت موهبته الفطرية تجاه اللغات الأجنبية. فعند وصوله إلى إيران لم يكن يعرف إطلاقًا أي شيء عن اللغة الفارسية، فاتخذ بستانيًا ليعلمه اللغة الفارسية، وكان يستمع باهتمام للأحاديث التي تدور في الشارع والأسواق، وبعد شهرين استطاع إلقاء كلمة أمام الإيرانيين، وبعد خمسة أشهر أصبح يتحدث الفارسية بطلاقة لغتهم، وفيما بعد تمكّن من اللغة العربية أيضًا، كما كان يتكلم اللغات الفرنسية والإيطالية والتركية، وكان يعمل دون اللجوء إلى مترجمين.

في مايو ١٩٢٢م (رمضان ١٣٤٠هـ) عُين حكيموف قنصلاً عاما للاتحاد السوفييتي في ريشته (إيران)، ثم عمل في لجنة الحدود السوفييتية الإيرانية المشتركة. وفي يناير عام ١٩٢٤م (جمادى الآخرة ١٣٤١هـ) دُعي إلى موسكو حيث كُلّف بمهمة جديدة، إذ أصبح أول قنصل عام للاتحاد السوفييتي في مملكة الحجاز في شبه الجزيرة العربية.

وقبل ذلك في ديسمبر ١٩٢٢م (جمادى الأولى ١٣٤١هـ) خلال فعاليات مؤتمر لوزان عقد اجتماع بين وزير خارجية جمهورية روسيا السوفييتية غ. تشيتشيرن مع ممثل ملك الحجاز الأمير حبيب لطف الله. وقد كتب تشيتشيرن إلى نائبه م. ليتفنيوف رسالة حول مضمون

ذلك اللقاء، جاء فيها: "لقد تحدثت عن تطلعنا إلى إنشاء قنصلية روسية في جدة، وقد أصر [الأمير لطف الله] أيضًا على ذلك، إني أرى فعلاً أنه من المهم جداً أن يكون لنا قنصل في جدة، فهي تقع بالقرب من مكة التي لا يسمح لغير المسلمين بالعيش فيها، وجدة هي عاصمة مملكة الحجاز، ولذلك فإن قنصلنا فيها سيكون في قلب العالم الإسلامي: لأن الحجاج يمرون من هناك، ومن ثم سيتمكن قنصلنا من متابعة معظم الحركات السياسية في العالم الإسلامي التي كانت بعيدة عن أنظارنا، وانطلاقًا من سياستنا تجاه الدول الإسلامية، أعتقد أنه لابد أن يكون لنا ممثل في قلب العالم الإسلامي"(٥).

> **إن قنصلنا فيها سيكون في قلب العالم الإسلامي؛ لأن الحجاج يمرون من هناك**

وقد دامت المباحثات حول إقامة علاقات رسمية بين الاتحاد السوفييتي والحجاز قرابة سنتين، وكان سبب طول مدة المباحثات غياب اتصالات مباشرة ومنتظمة، وهي الاتصالات التي لم تنتظم سوى في نهاية عام ١٩٢٣م (١٣٤٢هـ) عندما حل الأمير لطف الله ممثلاً للحجاز بروما، حيث توجد سفارة دائمة للاتحاد السوفييتي.

بتاريخ ٣ أبريل ١٩٢٤م (٢٨ شعبان ١٣٤٢هـ) كتب تشيتشيرن رسالة إلى سفير الاتحاد السوفييتي في إيطاليا يورينف يبلغه فيها قرار موسكو تعيين كريم حكيموف قنصلاً عامًا للاتحاد السوفييتي في الحجاز. جاء في الرسالة بهذا الخصوص: "إن قرار إقامة علاقات ديبلوماسية مع الحجاز، اتخذه أقوى جهاز (المقصود المكتب السياسي للبلاشفة - الكاتب) خلال وجودي في لوزان... وقد تم تنفيذ ذلك... ففي الحجاز، كما في دول أخرى، سيكون للاتحاد السوفييتي قنصلية عامة مثله مثل باقي الدول، وبالمقابل سيكون

---

(٥) دورية وزارة خارجية الاتحاد السوفييتي، ١٩٩٠م، العدد ٢١، ص٣٧.

للحجاز في موسكو سفير...، وبالنسبة لنا فإن وجودنا في مكة يأتي في الدرجة الأولى من حيث الأهمية، ولهذا تحديدًا تم تعيين مسلم في منصب القنصل العام؛ حتى يتمكن من البقاء في مكة. وباستثناء حكيموف لم نجد مسلمًا آخر يناسب هذا المنصب، رغم أننا بحثنا طويلاً.

إن للرفيق حكيموف نواقصه، ولكنها لا تقارن بنواقص المرشحين الآخرين، لقد تعود الرفيق حكيموف سياستنا؛ لأنه شغل لدينا عدة مناصب، لقد قررنا أن يسافر حكيموف إلى الحجاز في القريب"(٦).

وجاء في برقية وزير خارجية الحجاز التي تلقتها موسكو يوم ٢٤ أبريل ١٩٢٤م (٢٠ رمضان ١٣٤٢هـ) أن المراسلات بين الاتحاد السوفييتي والحجاز عبر سفيرنا في روما أثبتت رغبة الحجاز القوية في إقامة علاقات رسمية مع الاتحاد السوفييتي، وكتب "إننا في انتظار وصول ممثلكم الذي تعينونه ووفق رؤيتكم"(٧)، وفي اليوم نفسه وقع م. كالينين رئيس اللجنة التنفيذية لاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية أوراق اعتماد كريم حكيموف قنصلاً عامًا للاتحاد السوفييتي في الحجاز.

في يونيو ١٩٢٤م (ذي القعدة ١٣٤٢هـ) غادر أول ممثل للاتحاد السوفييتي في الجزيرة العربية موسكو متوجهًا إلى الحجاز، وقبيل مغادرته استقبله تشيتشيرن، وأحاطه بصورة الوضع في الحجاز وشبه الجزيرة العربية، ولم يخف عنه تشيتشيرن أن العمل سيكون صعبًا، وزوده بنصائح عملية قيّمة، وطلب منه أن يولي اهتمامًا خاصًا بمتابعة تحركات بريطانيا في هذه المنطقة، حيث تتمتع بموقع قوي.

---

(٦) المصدر نفسه، ص٣٨.

(٧) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي. موسكو، ١٩٦٣م، المجلد٧، ص١٦٢.

في نهاية يوليو وصل حكيموف مع أسرته وموظفي القنصلية إلى جدة، ولأن المبعوث السوفييتي كان مسلمًا فقد سُمح له أن يقدم أوراق اعتماده لملك الحجاز الحسين بن علي في مكة يوم ٩ أغسطس ١٩٢٤م (٩ المحرم ١٣٤٣هـ)، وأصبحت هذه البعثة هي أول ممثلية رسمية للاتحاد السوفييتي في البلدان العربية.

في ذلك الحين شهدت الجزيرة العربية بداية أحداث مهمة، فقد دشن سلطان نجد الملك عبدالعزيز، المعروف بقوة إرادته وعزمه الزحف نحو الحجاز بهدف توحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربية تحت سلطته، وفي هذا الإطار بعث تشيتشيرن رسالة بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٢٤م (١٦ ربيع الأول ١٣٤٣هـ) يكلف فيها حكيموف بالمهمة الآتية: "الحفاظ على علاقة الصداقة مع الحجاز... وعدم تفويت أي فرصة للاتصال بابن سعود، القوة الجديدة الصاعدة في الجزيرة العربية"، إن مصالحنا تجاه القضية العربية تتمثل في توحيد الأراضي العربية في دولة واحدة، فإذا كان ابن سعود ينتهج سياسة توحيد العرب، فإن ذلك سيكون متطابقًا مع مصالحنا، وسيكون علينا محاولة التقارب معه كما فعلنا ذلك في علاقتنا بالحسين الذي حاول توحيد الجزيرة العربية"(٨).

في ديسمبر ١٩٢٤م (جمادى الأولى ١٣٤٣هـ) دخلت قوات الملك عبدالعزيز مكة، وأصبح حكيموف، الذي عين ممثلاً دبلوماسيًا لدى حكومة الحجاز، في وضع صعب للغاية، وقد تفهم تشيتشيرن ذلك، فبعث لحكيموف بتوجيهاته في رسالة بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٥م (٢٢ شعبان ١٣٤٣هـ)، جاء فيها: "يبدو أن أحداث الحجاز تقترب من نهايتها، ويجب أن نبني تكتيكنا بطريقة تمكننا من الحفاظ على قنصليتنا في "الأراضي المقدسة"، فإذا لم تستول قوات ابن

---

(٨) دورية وزارة خارجية الاتحاد السوفييتي ١٩٩٠م، العدد ٢١، ص٤٣.

سعود على جدة، سيكون علينا الاستمرار في تأدية دور أصدقاء الهاشميين ودعم العلاقات الديبلوماسية مع الحكومة الحجازية...، أما إذا أخذت الأحداث مجرى آخر، واستولى ابن سعود على جدة، وطرد الهاشميين من "الأراضي المقدسة"، فسيكون علينا آنذاك منح وجودكم في الحجاز وضعًا آخر...، لابد من الاستفادة من كل إمكانية متاحة للحفاظ على قاعدة للوجود السوفييتي في شبه الجزيرة"⁽٩⁾.

وتنفيذًا لتعليمات تشيتشيرن، توجه حكيموف إلى مكة، حيث استطاع لقاء الملك عبدالعزيز، وهو اللقاء الذي أشاد به تشيتشيرن في رسالة إلى حكيموف بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٥م (١٦ شوال ١٣٤٣هـ)، كتب فيها: "لقد حققت زيارتك إلى مكة نجاحًا كبيرًا، فقد أثرت معلوماتنا عن حقيقة وضع الملك عبدالعزيز ونواياه، وبالنظر إلى أن الزيارة سمحت بإقامة أولى الاتصالات معه فيمكن عدّ ذلك نتائج طيبة"⁽١٠⁾.

وفي الرسالة نفسها كلّف تشيتشيرن بعثة حكيموف في الجزيرة العربية بمهمات جديدة أوسع: "إن آفاق التعاون العربي - التركي تهمنا جدًا، ولهذا نود أن نتلقى منكم معلومات أشمل قدر الإمكان حول هذه المسألة، ولابد من القيام بالإعداد التمهيدي للاتصال بالإمام يحيى وأنتم من موقعكم أدرى بكيفية تحقيق ذلك. ويهمنا بالخصوص إن كان يمكن عن طريق موظفينا الذين يستجمون في إريتيريا إقامة اتصالات مع الحبشة ومحاولة جس نبض حكومة الحبشة بطريقة غير رسمية حول استئناف العلاقات وبعث ممثلنا إلى تلك البلاد. وفي الوقت نفسه انتقد تشيتشيرن حكيموف؛ لأنه "لم يول، في تقاريره إلى وزارة الخارجية السوفييتية، اهتمامًا كافيًا للعلاقات بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى"⁽١١⁾.

---

(٩) المصدر نفسه، ص٤٠-٤١.

(١٠) المصدر نفسه، ص٤٣.

(١١) المصدر نفسه، ص٤٤.

في ديسمبر ١٩٢٥م (١٣٤٤هـ) بسطت قوات ابن سعود سلطتها على جدة، وفي بداية ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ) أصبح يحمل لقب "ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها" مؤسسًا بذلك الدولة التي ستسمى فيما بعد (ابتداء من سبتمبر ١٩٣٢م) المملكة العربية السعودية. وفي ١٦ فبراير ١٩٢٦م (٤ شعبان ١٣٤٤هـ) كان الاتحاد السوفييتي أول دولة تعترف بالدولة الجديدة في شبه الجزيرة العربية. ففي ذلك اليوم انطلق القنصل العام السوفييتي كريم حكيموف مغامرًا بحياته على متن سيارته، التي تحمل العلم السوفييتي، يقودها بنفسه، وتحت تبادل إطلاق النار، عبر الصحراء من جدة إلى معسكر الملك عبدالعزيز ليسلمه مذكرة رسمية، جاء فيها: "إن حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، وانطلاقًا من مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها تعترف بكم ملكًا للحجاز وسلطان نجد وملحقاتها. انطلاقًا من ذلك فإن الحكومة السوفييتية مستعدة لإقامة علاقات ديبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم"، وفي المذكرة الجوابية عبر الملك عبدالعزيز عن "استعداده الكامل للعلاقات مع الحكومة السوفييتية ومواطنيها بالشكل الذي يميز العلاقة بين الدول الصديقة"(١٢).

وكان لموقف الحكومة السوفييتية، بصفته أول من اعترف بالدولة السعودية - أهمية كبيرة في تعزيز وضع المملكة العربية السعودية على المستوى الدولي، وكما أبلغ حكيموف موسكو، فقد دفع الاعتراف السوفييتي بريطانيا ودول أخرى إلى الاعتراف أيضًا بالدولة السعودية. وكتب حكيموف: "يمكن النظر إلى اعتراف بريطانيا، الذي تميز بالاستعجال، بأنه كان اضطرارياً"(١٣).

كان لموقف الحكومة السوفييتية، كأول من اعترف بالدولة السعودية، أهمية كبيرة في تعزيز وضع المملكة

---

(١٢) الاتحاد السوفييتي والبلدان العربية ١٩١٧-١٩٦٠م، وثائق ومواد، موسكو، ١٩٦١م، ص٦١-٦٢.

(١٣) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، موسكو ١٩٦٥م، المجلد ١٠، ص١٣٤.

عمل كريم حكيموف في الحجاز أربع سنوات، أصبح خلالها معروفًا لدى مختلف فئات السكان في شبة الجزيرة العربية، وأطلق عليه العرب اسم كريم بيه. وكان وزير الخارجية تشيتشيرن راضيًا عن عمله، وكما تشهد عليه وثائق أرشيف السياسة الخارجية السوفييتية المنشورة مؤخرًا، فقد كانت تقارير حكيموف عما يجري في المملكة والعلاقات الدولية وسياسة الدول الأخرى في هذه المنطقة، تُدرس وتُحلل بعناية في وزارة الخارجية السوفييتية. وفي ملاحظات تشيتشيرن التقييمية لعمل حكيموف كثيرًا ما نصادف عبارات، مثل: "صحيح تمامًا"، إن ملاحظاتكم (مخاطبًا حكيموف) العملية ستكون محل اهتمامنا"(١٤). أليس هذا اعترافًا بالكفاءة العالية التي بلغها كريم حكيموف وهو يشغل منصبه الدبلوماسي في جدة !.

في سبتمبر ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ) تم تعيين نذير تيورياكولوف قنصلاً سوفييتيًا عامًا في جدة، أما حكيموف فقد عُين ممثلاً للجنة الدولة للاتحاد السوفييتي للتجارة مع دول الشرق الأوسط في اليمن. وكما كتب المؤرخ إ. سينتشينكو: "بهذه الخطة" "الشطرنجية" يبدو أن الحكومة السوفييتية حكمها تصور واسع ينطلق من أن حكيموف يستطيع، ليس فقط تعزيز موقع الاتحاد السوفييتي في اليمن، كما قام بذلك في المملكة العربية السعودية، بل والعمل على تسوية العلاقات بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز في شبه الجزيرة العربية، ورفع اهتمامهما بالاتحاد السوفييتي"(١٥).

في رسالة بتاريخ ٣٠ أبريل ١٩٢٩م (١٣٤٧/١١/٢١هـ) أبلغ م. كالينين، الإمام يحيى، مصادقة الاتحاد السوفييتي على معاهدة الصداقة والتجارة السوفييتية - اليمنية الموقعة عام ١٩٢٨م،

---

(١٤) انظر دورية وزارة خارجية الاتحاد السوفييتي، ١٩٩٠م، العدد٢١، ص٤٣ و٤٨ وأخرى.

(١٥) ب. سينتشينكو، الخليج العربي: نظرة عبر مئة سنة. موسكو ١٩٩١م، ص٩٨.

واستعداد الحكومة السوفييتية "العمل على تطوير وتعزيز علاقات الصداقة المنصوص عليها في هذه المعاهدة"، و"إن المواطن كريم حكيموف الذي سيسلمكم هذه الرسالة يتمتع بثقتنا الكاملة، وأرجو أن تكونوا على ثقة كاملة أنه سيتشرف بتمثيل الاتحاد السوفييتي. وبتزكيتنا له، آمل أن يحظى بعطف جلالتكم"(١٦).

عمل حكيموف في اليمن أكثر بقليل من سنتين، من منتصف ١٩٢٩م حتى يناير ١٩٣٢م (١٣٤٨ - ١٣٥٠هـ)، ومع ذلك فقد عمل الكثير خلال هذه الفترة القصيرة لتطوير العلاقات السوفييتية - اليمنية وتعزيزها. وفي وصف ف. بوبوف لعمل كريم حكيموف في الجزيرة العربية كتب السفير السوفييتي بالجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٩٠م (١٤١٠هـ): يصعب تقييم كل ما قام به هذا الرجل دبلوماسيًا كممثل لبلادنا. فبإسهامه الشخصي إلى حد كبير، وضع أساس العلاقات بين الدولة السوفييتية الفتية والعالم العربي... وبفضل معرفته العميقة بتاريخ وتقاليد وعادات العرب، ولباقته غير العادية وقدرته على كسب تعاطف الناس، استطاع حكيموف أن يتمتع لدى اليمنيين والسعوديين باحترام كبير، لقد أتقن اللغة العربية بشكل مدهش، حتى إن العرب كانوا يندهشون من قدرته على عرض أفكاره بهذا القدر من العمق بأسلوب عربي صاف. إن قراءة الوثائق التي كتبها بخط يده تمثل في حد ذاتها متعة لا تضاهى: فبأي إتقان ودقة كتبت، وأي لغة تعبيرية ذلقة. لقد كان ضيفًا مرحبًا به في القصور، وبكل سعادة كان يستقبله الفقراء في بيوتهم البسيطة، وكان بيته دائما مزدحمًا بالضيوف، يأتيه التجار والمقربون من العائلة المالكة، وكذلك بسطاء الناس(١٧)، وبلغة معاصرة يمكن القول: إن حكيموف

---

(١٦) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي، موسكو ١٩٦٧م، المجلد١٢، ص٢٥٦.

(١٧) ف. بوبوف - في أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية - الحياة الدولية ١٩٩٠م، العدد ٦، ص٧٠.

كان إنسانًا نادرًا في قدرته على التواصل مع الناس. لم يكن طويل القامة، وكانت تنتشر على جلده آثار جدري قديم بسبب غبار الفحم، وبنظراته الثاقبة كان يتحول بسرعة إلى الوجه الرئيس في أي جلسة، وكان يجيد الغناء، وفي اللحظات الصعبة كان يستطيع الحفاظ على روح المرح. ويتذكرون في العاصمة اليمنية كيف كان خلال الأمسيات كثيرًا ما يعزف على الكمان ألحانا رائعة ينتشر صداها عبر كل المدينة. كانت أبواب دار الممثلية للتجارة مع دول الشرق الأوسط المكونة من ثلاثة طوابق مفتوحة في وجه الجميع، سواءً كانوا تجارًا أو رجال دين أو مثقفين.

كان اليمنيون يُستضافون عادة في الطابق الثاني، الذي كان عادة دون نوافذ، وقد فرش بالسجاد يجلس فوقه الضيوف يحتسون فناجين القهوة والشاي مع الأرغفة البشكيرية والنرجيلة التي تتناقلها الأيدي وهم يتداولون أحاديث هادئة، وقد وصفه كل من عرفه بأنه رجل محترم في كل أعماله وإنسان بالغ الطيبة والتواضع وماهر في جميع الحرف. وخلال سنوات عمله الدبلوماسي في الجزيرة العربية اضطر لأن يكون سائقًا وميكانيكيا، وأن يقوم بنفسه بإصلاح المحطة الكهربائية، وصنع أثاث المنزل.

كانت الظروف التي عمل فيها موظفو البعثات السوفييتية الأولى في الجزيرة العربية (البعثة السوفييتية في صنعاء تكونت من عشرة أشخاص فقط) قاسية جدًا: حرارة لا تطاق، وأمراض منتشرة ونقص المياه الصالحة للشرب والمواد الغذائية، كانت المنطقة كأنها قطعة خالصة من القرن الثالث عشر!.

وبسبب المرض غادر حكيموف اليمن إلى موسكو في يناير ١٩٣٢م (شعبان ١٣٥٠هـ)، حيث وصلها في الخامس من فبراير (١٣٥٠/٩/٢٨هـ)، وسرعان ما كلف بمهمة دبلوماسية جديدة، ففي مايو ١٩٣٢م (ذي الحجة ١٣٥٠هـ) زار الاتحاد السوفييتي وفد

حكومي من مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، وقد ترأس هذا الوفد نجل الملك عبدالعزيز ونائبه في الحجاز والقائم بأعمال وزير الخارجية، الأمير فيصل. وبأمر من قيادة وزارة الخارجية سافر حكيموف بوصفه الممثل السابق للاتحاد السوفييتي في الحجاز، ليستقبل الأمير على الحدود السوفييتية البولندية في محطة سكة حديد نيجوريلوي، وفور وصوله إلى موسكو التقى الأمير فيصل، بمرافقة حكيموف، مع م. كالينين في الكرملين.

في أكتوبر ١٩٣٢م (جمادى الآخرة ١٣٥١هـ) زكت القيادة الحزبية حكيموف للدراسة في معهد الأساتذة بقسم الاقتصاد الدولي والسياسة الدولية. وفي يناير ١٩٣٥م (شوال ١٣٥٣هـ) خلال العطلة الشتوية، سافر حكيموف، بعد غيبة طويلة، إلى مسقط رأسه بشكيريا. وفي أوفا علم بوفاة ف. كويبيشيف الذي يدين له حكيموف بالكثير في مصير حياته.

وبعد تخرجه من المعهد عام ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ) التحق كريم حكيموف من جديد بالعمل الدبلوماسي، حيث عين سفيرًا للاتحاد السوفييتي بالمملكة العربية السعودية. وقد أدت عودته إلى شبه الجزيرة العربية إلى بعث حياة جديدة في العلاقات السوفييتية - السعودية. وبفضل سمعة حكيموف في ديوان الملك عبدالعزيز وديناميكيته ومعرفته إيجاد الطريق إلى قلوب العرب، تم استئناف الحوار السياسي بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية، ومن جديد بدأ التجار العرب يتقدمون باقتراحات عملية مع الاتحاد السوفييتي. إلا أن آفاق تنشيط العلاقات السوفييتية - السعودية سرعان ما وصلت إلى طريق مسدود بسبب الأحداث السياسية التراجيدية التي كان الاتحاد السوفييتي قد بدأ يشهدها. فحملة القمع الستاليني التي اجتاحت المجتمع السوفييتي أثرت سلبًا على السياسة الخارجية للدولة، حيث تمت إبادة الكوادر الدبلوماسية.

وكان خيرة الممثلين الديبلوماسيين يُستدعون إلى البلاد ليختفوا دون أثر وراء جدارن وزارة الداخلية.

ولم تسلم من آلة القمع، الممثلية السوفييتية في جدة أيضًا، ففي ٦ سبتمبر ١٩٣٧م (١ رجب ١٣٥٦هـ) تم استدعاء كريم حكيموف إلى موسكو فجأة، حيث اعتُقل بناء على بلاغ كاذب لأحد موظفي الممثلية، واتُهم بـ"النشاط المفرط" و"التجسس" لحساب دول عدة، وحوكم على أنه عدو للشعب" ليعدم عام ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ). وعندما علم الملك عبدالعزيز بذلك تأثر بشدة، وأعلن أنه لا يريد سفيرًا سوفييتيا آخر. وردا على ذلك قررت موسكو بمبادرة من وزير الخارجية م. ليتفينوف تطبيق مبدأ خفض العاملين في البعثة الدبلوماسية السوفييتية في جدة. وفي ١٣ أبريل ١٩٣٨م (١٣ صفر ١٣٥٧هـ) تقرر إغلاق السفارة السوفييتية في المملكة العربية السعودية. وفي ١١ سبتمبر ١٩٣٨م (١٧ رجب ١٣٥٧هـ) غادر كل موظفي البعثة السوفييتية في جدة. وهكذا أصبحت العلاقات الرسمية بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية التي لم تقطع شكليا ضحية من ضحايا القمع الستاليني. وفي ١٧ سبتمبر ١٩٩٠م (٢٧ صفر ١٤١١هـ) فقط قرر الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية استعادة العلاقات الديبلوماسية على مستوى السفراء.

إن دور كريم حكيموف في إيصال الديبلوماسية السوفييتية إلى الشرق يستحق بكل المقاييس التذكار. وقد أقيم متحف عن حياة ونشاط كريم حكيموف في مسقط رأسه بشكيريا، وتحديدًا في قريته ديوسيانوفا، كما أطلق اسمه على عدد من الشوارع في مدن أرينبورغ وبخارى وطشقند وأوفا، وعلى خشبة مسرح بشكيريا الدرامي تعرض بنجاح على مدى سنوات طويلة مسرحية الكاتب ن. أسانبايف "الباشا الأحمر"، والتي تروي نشاط حكيموف الديبلوماسي في الجزيرة العربية.